"زنا المحارم"

لا تقلق ، سأحكي لك كل شئ ، فأنا أدرك كم أنت شغوفٌ لمعرفة أدق التفاصيل ...اسمها جميلة....لا تندهش ، ولكن لا بأس سأمنحك برهةً من الزمن لتخمّن لمَ اسمياها والديها اسمًا نشازًا كهذا ، وإلى أن تُحدّس سأطلعك على بعض التفاصيل ....من المؤكد أنك تعرف اسمي ، ولكن الشئ الذي لا تعرفه هو لماذا اختارا لي أبوايا هذا الاسم لحظة مجيئي إلى هذا العالم الحقير ، فقد نما إلى علمهما قبل أن يلداني ، أنني سأدفن أحلامي في مقبرة صدري ، ولن أدعها لحظةً تتفلت من قبضته الشديدة ، كنت حصيفًا ، فإن لم أدفنها بنفسي لوأدها غيري وهم كثر ، صحيح أننا عائلةٌ واحدة ، لكننا ككل العائلات ..فرعٌ غني وفرعٌ فقير ، فأنا من سكان المقابر وكذلك جميلة ، وهم يسكنون القصور ، نتشابه في كل شئ ، حتى في أكل لحوم بعضنا البعض ، دمنا واحد ، كذلك اسماؤنا ، وأيضًا ملامحنا...مسخٌ نولد ومسخُ نموت ...أقرأ في عينيك أنك حدّست كينونة اسمها نعم ..نعم لأنها جميلة ، وردةٌ تنمو في قفرٍ لا زرعٍ فيه ولا ماء ، عندما بلغنا نبأ ولادتها وجمالها اللافت ، كنا كأنّ فوق رؤوسنا الطير ، بين فرحٍ ومتهيبٍ ، وبين ترقبٍ وانتظار ، جاءت جميلة ، وترعرعت بينَ ظهرانيننا ، ثمانية عشر يومًا مرّت ، تفتحت أوراقها وأينعت ثمارها ، فتهافت عليها الجميع يخطب ودّها ،

وأنا ...أنا المتفرج الصامت...مكثت غير بعيد ، فجأة انقلب التهافت إلى تكالب ، وتحوّل الود إلى تحرش ، هتك الجميع عرضها ، تصور! ...حتى أخويها ، أوهما الناس أنهما مدافعين عنها ، فألصقا كامل جسديهما بكامل جسدها ، وآخر انبرى ليستر ما تكشّف من جسدها ، كان يغطي جزءً ليُعري جزءً آخر ، مزقزا جسدها كما مزقوا ملابسها ، ثم تركوها غارقة في بحور دمها ، يلوكون بألسنتهم عفافها ، مُدعين أنها إبنة زنا ، فكيف لمسخٍ أن ينجب مثلها !!...لا تتلفت حولك فهم لا يسمعون ، فمن يولد أعمى يأتي سادتنا في اليوم السابع لولادته ويقطعوا لسانه تطهرًا وتبرّكًا ، ومن يولد أصم أيضًا ، أما من يولد أبكم مثلي فيتركونه نجسًا ، جميلة ليست منا أو هكذا زعموا ، وحين خلا المكان إلا مني ومنها ، دنوت ببطءٍ ، رأتني رغم ظلمة المكان ، فقد كان لعينيّ بريقٌ أحمر يضئ ، أشارت بيدها العليلة إلى بقعة ضوءٍ في نهاية الأفق ، لم أهتم فقد كنت منشغلاً بتلويث ما لم يُلوّث من جسمها البض!

* * *